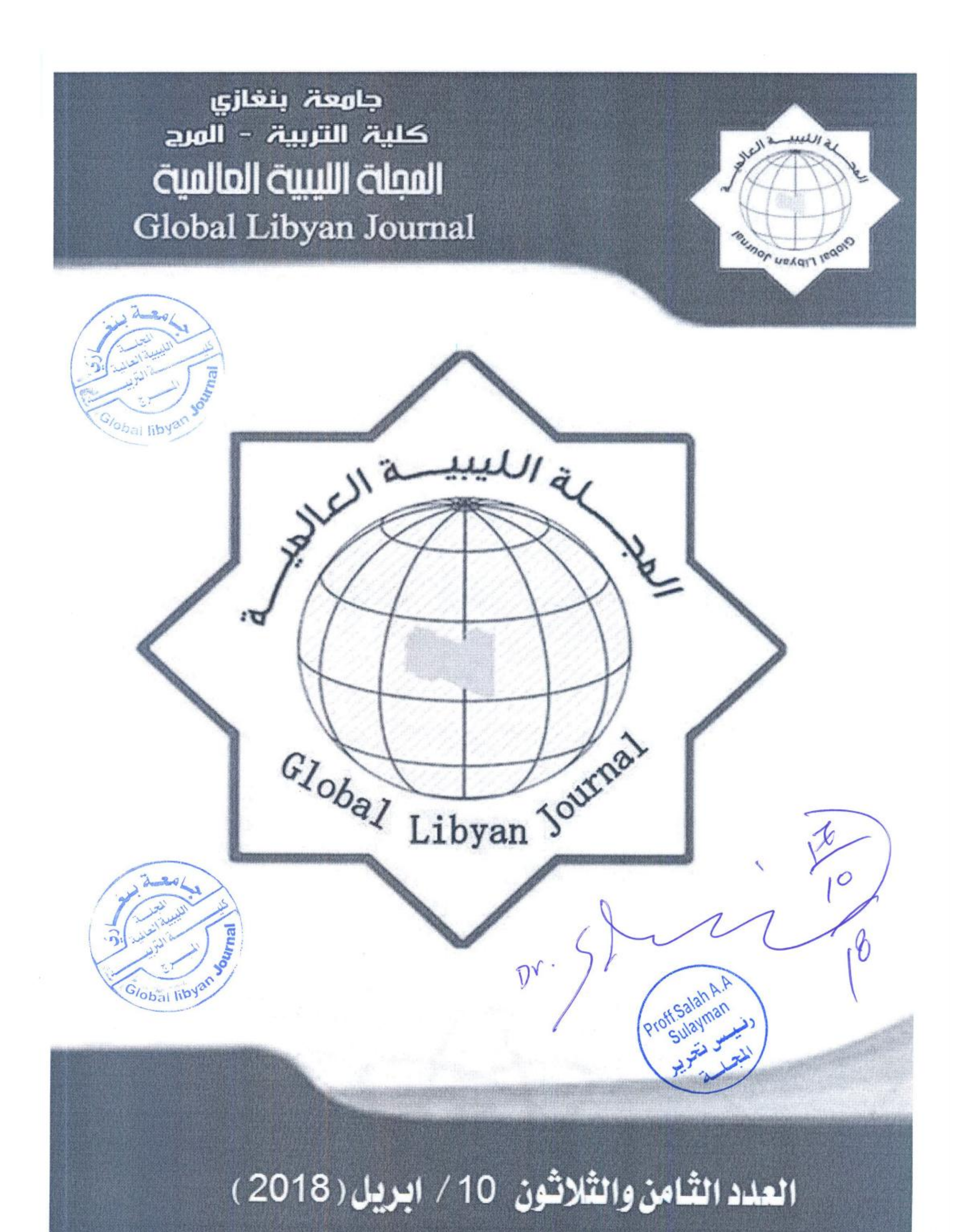

جامعة بنغازي
كلية التربية - المرج
المجلة الليبية العالمية
Global Libyan Journal
المجلة الليبية العالمية
Global Libyan Journal
Proff.Salah A.A Sulayman
رئيس تحرير المجلة
العدد الثامن والثلاثون 10 / ابريل (2018)

University of Benghazi
Faculty of Education Al mar
Global Libyan Journal
Al-Mağallat' al-libiyyat al-'alāmiyyat

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية
ISSN 2518-5845

(GLJ)

إعلام بالنشر في المجلة الليبية العالمية

الموافق: 2018/10/17

السيد الباحث المحترم: **د. محمد محمود موسى يونس.**

تحية طيبة ؛؛؛؛؛

تفيدكم هيئة تحرير المجلة الليبية العالمية بأنها قامت بنشر بحثكم الموسوم بعنـــوان: ((**جهود علماء ليبيا في التأليف في الفقه المالكي (العلاّمة الشيخ أبو القاسم التواتيّ أنموذجاً)** (1905 – 1981 م)))
في عددها الثامن والثلاثون - 10/ أبريل لسنة 2018م، بعد أن تم إجازته من قبل هيأة التحكيم.

وفقكم الله

ولكم منا فائق الاحترام والتقدير

د. صلاح الأمين عبدالله
رئيس تحرير المجلة الليبية العالمية

- صـــــــــــورة
- الملف الدوري

E-mail: global.ly.jour@uob.edu.ly global.ly.jour@gmail.com
Phone No. +218923322674 Twitter @global_libyan Facebook: Global.Libyan.Journal

ورقة بحثيّة بعنوان:

جهود علماء ليبيا في التأليف في الفقه المالكيّ
(العلامة الشيخ أبو القاسم التواتيّ أنموذجًا)
(1905 – 1981 م)

مقدّمة من الباحث:

محمّد محمود موسى يونس
محاضر مساعد بقسم الدراسات الإسلاميّة
كليّة الآداب – جامعة عمر المختار

ملخّص البحث

لقد أسهم القطر الليبيّ إسهامات كثيرة في بناء المدرسة الفقهيّة المالكيّة، وصنيع عليّ بن زياد الطرابلسيّ في إدخال الموطأ إلى المغرب العربيّ أكبر دليل على ذلك، وبذلك يكون قد حاز قصب السبق في هذا المضمار؛ حيث يُعدّ موطؤه أقدم وأنفس مخطوط ليبيّ ومنه كانت البداية، ولا جرم أن يقال إنه هو من وضع أسس الثقافة الإسلاميّة بشكل عامّ في المغرب الإسلاميّ والفقه المالكيّ بشكل خاصّ وشيّد بنيانه حتى صار العُمدة والمرجع في هذا القطر.

لكن مع توالي الأزمنة على هذا القطر حصل نوع من الفتور حتى شاع الجهل بين الناس فكانت دعوة السيّد محمّد بن على السنوسيّ انطلاقة جديدة لعودة العلم ودراسة الفقه لا سيّما في برقة.

ويعدّ الشيخ أبو القاسم التواتيّ أحد المنتسبين إلى هذه الدعوة المباركة، الناسجين على منوال مؤسّسها؛ فخدم التراث الفقهيّ المالكيّ بالشرح والتوضيح والتلخيص، كما واكب بعلمه بعض النوازل الفقهيّة التي كانت تعدّ مستجدّة في وقته، الأمر الذي يُظهر مدى سعة علمه وإحاطته بالمذهب المالكيّ أصولا وفروعًا.

Abstract

Libya has greatly contributed to the construction of the Maliki school of thought. Obviously, the contribution of Ali Ben Ziad Attarabulsi in bringing the Muwata of Imam Malik to the Arab Maghreb is the greatest contribution. Thus, Ali Bin Ziad Attarabelsi is the first contributor in this field whose Muwata is considered as the oldest yet the most valuable manuscript of the Maliki school of thought in Libya. Undoubtfully, Attarabulsi is the one who generally laid the foundations of the Islamic culture in the western Maghreb, particularly the Maliki school of thought. Attarabulsi was successively building its structure until he became the main reference of this school. However, ignorance spread among the people over time until the call of Mr. Muhammad Ben Ali Assunusi reached out to people where knowledge and figh study returned, especially in Barqa. Sheikh Abu Al-Qasim Attuwati was one of the associates of this blessed call who continued that school of thought and contributed in teaching the tradition of the Maliki school with explanation, clarification, and summarization. Moreover, he tackled some other fighi tendencies that was emerging at his time, which distinguishes his wide knowledge and expertise of the Maliki school of thought either in its principles or branches.

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبد الله ورسوله محمَّد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أمَّا بعد: فهذه ورقة بحثيَّة قصدتّ من ورائها تسليط الضوء على جانب مُهمّ من التراث العلميّ والأدبيّ لبلدنا ليبيا، ألا وهو جهود علماء ليبيا في التأليف في الفقه المالكيّ، وذلك لما نراه اليوم من تلاشٍ للهويّة، وتغييب للدور التاريخيّ الذي لعبه القطر الليبيّ في حركة التأليف ونشر المعرفة؛ فأردت من وراء هذه الورقة فتح العيون العمي والآذان الصمّ التي جهلت أو تجاهلت وادّعت زورا وبهتانا خلوّ بلادنا من العلماء الراسخين والجهابذة المحقّقين.

أهميّة الموضوع:

تكمن أهميّة هذه الموضوع في كونه يتعلّق بجانب مشرق، وتاريخ مشرّف للقطر الليبيّ ألا وهو الجانب الفقهيّ عمومًا، والمالكيّ خصوصًا؛ إذ يشرف هذا القطر بأنه كان ولا يزال متمسّكًا بمذهب الإمام مالك، بل كان لعلمائه الفضل في إدخاله إفريقيّة ومنها إلى بقيّة المغرب الإسلاميّ عامة.

سبب اختيار الموضوع:

ونظرا للجهد العظيم الذي قامت به الدعوة السنوسيّة في ليبيا في هذا المجال؛ رأيت أن يكون موضوع هذه الورقة عَلم من أعلام ليبيا الذين تربطهم بهذه الدعوة ومؤسسها علاقة وثيقة، ألا وهو العلاّمة الشيخ أبو القاسم بن محمّد بن أحمد التواتيِّ؛ فجدُّه السيِّد أحمد صحب السيّد محمّد بن علي السنوسيّ، وأبوه السيِّد محمَّد صحب السيّد محمّد المهديّ السنوسيّ، وهو سار على نهجهم، ونسج على منوالهم، فصحب الملك الصالح السيِّد محمَّد إدريس السنوسيّ، فكان عنوان هذه الورقة:

جهود علماء ليبيا في التأليف في الفقه المالكيِّ

(العلاَّمة الشيخ أبو القاسم التواتيّ أنموذجًا)

(1905 – 1981 م)

أهداف الدراسة :

تهـدف الدراسـة إلى التعريـف بالـدور المهـمّ لعلمـاء ليبيـا في خدمـة العلـوم الإسـلاميّة عامّـة والمـذهب المـالكيّ خاصّـة عـن طريـق التعريـف بالشـيخ إبي القاسـم التـواتيّ وجهـوده في ذلك، وذكر نبذة عن مؤلّفاته.

المنهج المتّبع في الدراسة :

اتبعـت في ورقـتي هـذه المنـهج التـاريخيّ ويظهـر ذلـك في التمهيـد الـذي جعلتـه بمثابـة السـرد المـوجز لتـاريخ المـذهب المـالكي بشـكل عـام ولانتشـاره في الشـمال الإفريقـيّ بشـكل خـاصّ، كمـا يظهـر جليّـا في المطلـب الأوّل، واتبعـت أيضًـا المنـهج الوصـفيّ في المطلـب الثاني.

وقـد قسـمت ورقـتي هـذه إلى مقدمـة، وتمهيـد تكلّمـت فيـه علـى دخـول المـذهب المالكيّ إلى قطرنا الليبيّ، ومطلبين:

المطلب الأوَّل: ترجمت فيه للشيخ أبي القاسم التواتيّ.

والمطلب الثاني: تكلّمت فيه على مؤلّفات الشيخ.

وخاتمة ذكرت فيه أهمّ النتائج والتوصيات.

تمهيد

لقد تحققّت نبوّة الرسول محمّد ﷺ القائل فيها:«يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة»[1]، وعالم المدينة المذكور - على ما فهمه علماء الأمة- هو الإمام مالك[2]، بل صار لقب عالم المدينة مختصّا به، فإذا أطلق أريد به مالك دون سواه من علماء المدينة[3]؛ فذاع صيته ووضع له القبول عند علماء عصره، وقصده الناس من كلّ حدب وصوب، فمن أراد الفقه قصد مالكًا، ومن أراد الحديث قصد مالكًا، فهو الذي ملك زمام الحديث والفقه، فبزّ أقرانه بل فاق أشياخه؛ فقد قال رحمه الله: « ما أحد ممن نقلت عنه العلم إلا اضطر إلي حتى سألني عن دينه»[4]، ولذلك سُمّي مالك إمام الأئمة[5].

قال مالك: «قدم علينا الزهريّ فأتيناه ومعنا ربيعة فحدثنا نيفا وأربعين حديثا، قال ثم أتيناه الغد فقال انظروا كتابا حتى أحدثكم منه أرأيتم ما حدثتكم به أمس أي شيء في أيديكم منه؟، قال فقال له ربيعة ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس، قال ومن هو؟ قال ابن أبي عامر. قال هات فحدثته بأربعين حديثا منها، فقال الزهريّ ما كنت أقول إنه بقي أحد يحفظ هذا غيري»[6].

وبعد أن طار صيت مالك في الآفاق أخذ طلاب العلم يتوافدون على هذا العَلَم؛ ينهلون من علمه، ويستقون من معينه، فوفد عليه الطلاب من مصر فكانت مصر هي أول بلاد ينتشر فيها مذهب مالك بعد المدينة ويغلب عليها[7]، والعراق وما وراء النهر، والشام، ولم يكن أهل المغرب الإسلاميّ بمنأى عن هذه الحركة العلميّة؛ فقد رحلت مجموعة من طلاب العلم قاصدين المدينة؛ ليأخذوا عن عالمها وكان من ضمنها وعلى

---

[1] - أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوْره الترمذيّ، (بدون تاريخ)، الجامع الصحيح (سنن الترمذيّ)، تح :أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب العلم، باب ما جاء في عالم المدينة، برقم **2680**. وقال حديث حسن.

[2] - سئل سفيان ابن عيينة من عالم المدينة؟ فقال : إنه مالك بن أنس، وقال عبد الرزاق الصنعانيّ هو مالك. المصدر نفسه.

[3] – يُنظر : عياض بن موسى اليحصبيّ، (**1403**هـ - **1983**م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح : محمّد بن تاويت الطنجيّ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة للمملكة المغربيّة، **73/1**.

[4] - المصدر نفسه، **166/1**.

[5] – يُنظر : فاتح محمّد زقلام، (**2009**م)، الأصول التي اشتهر انفراد إمام دار الهجرة بها، دار الفسيفساء، طرابلس، **82/1**. وهو حقيق بهذه التسمية فقد روى عنه كبار مشيخة المدينة الذين أخذ عنهم مدة الطلب، منهم : زيد بن أسلم، يحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو الأسود بن نوفل، وزياد بن سعد، وابن شهاب، وهشام بن عروة، وربيعة، وآخرون سواهم. يُنظر :عياض اليحصبيّ، ترتيب المدارك، **166/1** - **175**.

[6] - يوسف بن الزكيّ عبدالرحمن أبو الحجّاج المزيّ، (**1400**هـ - **1980**م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح : بشّار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ، **14/27**.

[7] – يُنظر : عياض اليحصبيّ، ترتيب المدارك، **25/1**.

رأسها عليّ بن زياد الطرابلسيّ الذي تتواطأ الروايات في كتب السير والتاريخ على أنه صاحب الفضل الأول في إدخال الموطأ وفقه مالك إلى بلاد المغرب[1].

وعلى هذا فبالإمكان القول بأن المذهب المالكيّ انتشر في حياة الإمام مالك في المنطقة الممتدّة من مصر حتى المغرب الإسلاميّ، وهذه المنطقة تشمل ليبيا بشقّها الشرقيّ المسمّى بَرْقة[2]، وشقّها الغربيّ المسمّى طرابلس الذي كان ضمن إفريقيّة (تونس)[3].

وبذلك يكون عليّ بن زياد الطرابلسيّ قد حاز قصب السبق في هذا المضمار، وحاز الفضل أيضًا في إرسائه هذا الصرح العظيم؛ حيث يُعدّ موطؤه أقدم وأنفس مخطوط ليبيّ ومنه كانت البداية، حيث ازداد الفقه المالكيّ رسوخًا ووثوقًا وانتشارًا، ولا جرم أن يقال إنه هو من وضع أسس الثقافة الإسلاميّة بشكل عامّ في المغرب الإسلاميّ والفقه المالكيّ بشكل خاصّ وشيّد بنيانه حتى صار العُمدة والمرجع في هذا القطر[4].

وما فتئ قطرنا الليبيّ يخدم الفقه المالكيّ فتوالى طلاب العلم على الإمام مالك حيث تذكر لنا كتب التراجم عددًا من الذين رووا عن الإمام مالك من هذا القطر، نذكر منهم[5]:

---

(1) - المصدر نفسه، **80/3**.

- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركليّ الدمشقيّ، (2002م)، الأعلام، دار العلم للملايين، **289/4**.
- ناصر الدين محمّد الشريف، (**1420**هـ- **1999**م)، الجواهر الإكليليّة في أعيان علماء ليبيا من المالكيّة، دار البيارق، **3**.

(2) – برقة: «بفتح الباء وسكون الراء وفتح القاف تطلق على المنطقة الواقعة بين عقبة السلّوم شرقًا، وحدود طرابلس غربًا، في مكان يُقال له المقطاع حيث يوجد القوس الذي بناه الإيطاليّون سنة **1929**م». الطاهر أحمد الزاويّ(**1388**هـ- **1968**م)، معجم البلدان الليبيّة، مكتبة النور، طرابلس- ليبيا، **56**.

قلت: القوس المذكور هو قوس الأخوان فيليني كان قوسا ونصبا تذكاريا من الرخام، وبوابة عبور بنيت في فترة الاحتلال الإيطالي تحت حكم إيتالو بالبو لليبيا، بين إقليم برقة وإقليم طرابلس آنذاك على بقايا منطقة "هيكل الأخوان فلليني" وتذكيرا بهما، بُني في **16** مارس **1937**م، وهُدم القوس في العام **1970**م.

(3) - إفريقية: إقليم بشمال القارة الإفريقية يسمى أيضًا بالمغرب الأدنى، ويليه غربًا المغرب الأوسط ثم الأقصى، ويختلف امتداده الجغرافي في بعض العصور ولكنه في الغالب يمتد من طرابلس شرقًا إلى بجاية أو تاهرت غربًا، وهو ما يعني اليوم: كامل البلاد التونسية مع الجزء الغربي من البلاد الليبية من حدودها التونسية إلى عاصمتها طرابلس مع التخوم الشرقيّة للبلاد الجزائريّة حتى بجاية. يُنظر: محمّد الهادي أبو الأجفان، (بدون تاريخ)، المدرسة المالكية بإفريقية في عهد سيادة القيروان، **3**.

(4) – يُنظر: ناصر الدين الشريف، الجواهر الإكليليّة، **4**، **36**.

(5) – المصدر نفسه، **41**، **42**.

1. محمّـد بـن معاويـة الحضـرميّ الطرابلسـيّ. قـال القاضـي عيـاض[1] : «وفي روايتـه في الموطأ، جامع الجامع. وليس ذلك عند غيره، من أصحاب مالك»[2].
2. محمّد بن ربيعة الحضرميّ الطرابلسيّ.
3. حبيب بن محمّد الأطرابلسيّ.

واستمرّت الحركـة العلميّـة في هـذا القطـر فأنجبـت علمـاء أفـذاذًا خـدموا المكتبـة الإسـلاميّة المالكيّة بمؤلفات عزّ نظيرها، نذكر منهم:

1. محمّد بـن عبـد الله بـن عبـد الـرحيم بـن زرعـة البرقـيّ، ألّـف في غريـب الموطـأ، وأضـاف اختلاف فقهاء الأمصار إلى مختصر بن عبد الحكم الصغير، ت 249 هـ[3].
2. أبوجعفر أحمد بن نصر الداووديّ الطرابلسيّ، أصّل شرح الموطأ في طرابلس وله أيضًا (الواعي في الفقه)و(الأسئلة والأجوبة في الفقه)، ت 402 هـ[4].
3. الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن موسى اليزليتني القرويّ المعروف بحلولو، قاضي طرابلس، له شرح على مختصر خليل وآخر على جمع الجوامع وغيرها من المؤلفات القيّمة،[5].
4. أحمد بن أحمد بن محمّد بن عيسى الفاسيّ الأصل، الطرابلسيّ المولد والنشأة والوفاة، المشهر بزرّوق البرنسيّ له مؤلفات كثيرة عرفت بالتحرير وصحّة النقل، شرح رسالة القيروانيّ شرحين، وشرح الحكم العطائيّة ستة عشر شرحًا، وغير ذلك من المؤلفات المفيدة النافعة، ت 899 هـ[6].
5. الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، الصوفيّ المحدّث، له تواليف كثيرة منها: (مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس) و(رياض الأزهار وكنز الأسرار) في تفسير القرآن، ت 963 هـ[7].
6. الشيخ محمّد بن أحمد بن مُساهل مفتي طرابلس طيلة أربعين عامًا، كانت له مشاركة في العلوم وحسن اطلاع على فروع المذهب ت 1072 هـ[8].

---

(1) – **هو أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبيّ، سبتيّ الدار والميلاد، أندلسيّ الأصل، ت 544 هـ. أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ بن فرحون المالكيّ، (بدون تاريخ)، الديباج المُذْهب في معرفة أعيان علماء المَذْهب، تح : محمّد الأحمديّ أبو النور، دار التراث، القاهرة، 2 / 46 – 53.**

(2) - **عياض اليحصبيّ، ترتيب المدارك، 3/323.**

(3) - **ناصر الدين الشريف، الجواهر الإكليليّة، 47، 48.**

(4) – **يُنظر : الطاهر أحمد الزاويّ(2004م)، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلاميّ ، 92.**

- **محمّد العلميّ، (1433هـ- 2012م)، الدليل التاريخيّ لمؤلّفات المذهب المالكيّ، الرابطة المحمّديّة للعلماء،المملكة المغربيّة، 315.**

(5) – **يُنظر : أحمد بابا التنبكتيّ، (1989م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح : عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كليّة الدعوة الإسلامية، طرابلس – ليبيا، 127.**

(6) - **يُنظر : أحمد بابا التنبكتيّ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 107 – 109.**

(7) – **يُنظر : الطاهر الزاويّ، أعلام ليبيا، 343، 344.**

(8) – **يُنظر : محمّد بن عبد السلام العيّاشيّ، (2006م)، الرحلة العيّاشيّة، تح : سعيد الفاضليّ وسليمان القرشيّ، دار السويديّ، الإمارات العربيّة المتّحدة ، 137.**

هذا على سبيل المثال لا الحصر، وإلا فالقائمة تطول جدّا.

إلا أن من الملاحظ أن هذه الحركة العلميّة التي كانت تنعم بها هذه البلاد حصل لها نوع من الانكماش في منطقة برقة - التي كانت يومًا من الأيّام حاضنة لكبار جهابذة المالكيّة حيث تطلعنا كتب التاريخ على أن الإمام العلامة سحنون[1] شيخ المذهب المالكيّ ومثبّت أركانه في إفريقيّة والمغرب الإسلاميّ، أقام بها ثلاثة أعوام يدرّس في أحد مساجدها[2] - بينما استمرّت على نفس الوتيرة في منطقة طرابلس كونها حاضرة البلاد، «أما برقة فدَرست وخرِبت أمصارها، وانقرض أمرها، وأصبحت مجالات للعرب»[3]، وأرجع العيّاشيّ[4] سبب الخراب الذي وقع في برقة إلى خلوّها من سلطان يأخذ على يد الظالم وينصف المظلوم ولو كان جائرًا؛ إذ في غيابه حصل التناحر والصراع بين قاطنيها إلى أن دخلها بنو هلال وبنو سليم فاستولوا على قراها وأفسدوها، وإليك نصّ كلامه:« وتلك سنة الله في البلاد والعباد أن الولاة وإن جاروا خير من مرج الرعيّة يعدوا بعضهم على بعض، فيعمّ الخراب الحواضر والبوادي، وبهذا خلت أرض برقة كلها، وهي مسافة شهرين، وكانت متصلة العمارة من الإسكندريّة إلى إفريقيّة لا تكاد تسير فيها بريدًا ليس فيه أثر بناء ورسوم عمارة داثرة، وقد جاء الإسلام وغالبها عامر، ثم لم تزل عمارتها تضعف إلى أن خرج عرب هلال من مصر أواخر الرابعة وأوائل الخامسة فخرّبوا البلاد، واستولوا على القرى فأفسدوها، وخلت البلاد من يومئذ»[5].

- **محمّد الطيّب القادريّ، (1379هـ- 1977م)، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمّد حجيّ وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة، الرباط، 2 / 135.**

[1] **– هو عبد السلام أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخيّ، أصله شاميّ من حمص، وسحنون: لقب له سمي (سحنون) باسم طائر حديد لحدته في المسائل، سمع من ابن القاسم، وابن وهب، وأشهب، وطليب بن كامل، وعبدالله بن أبي الحكم، وسفيان بن عينية، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهديّ وغيرهم، وكان ثقة حافظًا للعلم، ت 240 هـ. يُنظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، 2 / 30 – 39.**

[2] **– يُنظر: عبد الله بن محمّد العيّاشيّ، الرحلة العياشيّة، 1 / 199. والمدينة التي أقام بها الشيخ سحنون على التحديد هي أجدابية، ومسجد سحنون قائم بها بناه الملك الراحل إدريس السنوسيّ سنة 1922م على محرابه. يُنظر: الطاهر الزاويّ، معجم البلدان الليبيّة، 20.**

[3] **- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرميّ، (1984م)، تاريخ ابن خلدون، دار القلم، بيروت، 6 / 135.**

[4] **- أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشيّ، نسبة لآل عيّاش قبيلة من البربر، ورحلته جمّة الفوائد عذبة المورد غزيرة النبع جليلة القدر، ت1090 هـ بالطاعون عن 53سنة. يُنظر: محمّد الطيّب القادريّ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، 2 / 254.**

[5] **- عبد الله بن محمّد العيّاشيّ، الرحلة العيّاشيّة، 1 / 197.**

ويرى الأستاذ الطاهر الزاويّ[1] أن سبب خلوّ برقة بعد دخول عرب بني هلال إليها سنة 442 هـ هو أن هذه الجيوش الجرّارة كانت وجهتها وقتئذ إفريقيّة لمغالبةابن باديس[2]، ولم يكونوا ينوون الاستقرار في برقة، ولكن بعد أن اتصلوا بابن باديس وغلبوه على حكمه رجعوا ليستقرّوا ببرقة ويعيشوا حياة يغلب عليها طابع الجهل[3]؛ وهذا ما يفسّر وصف العيّاشيّ إيّاهم في أثناء رحلته في القرن الحادي عشر الهجريّ بأوصاف مقذعة محزنة خصوصًا فيما يتعلّق بالجانب الدينيّ[4]، فقد ظلّت قبائل برقة ترزح تحت نير الجهل، وتتخبّط في دياجير الظلام رغم اعتناقها الإسلام الذي لم تعرف منه إلاّ اسمه، ولم تتعرّف على حقيقته لانعدام العلم والعلماء طيلة تلك الفترة حتى نزلها السيّد محمّد بن عليّ السنوسيّ[5] ﷺ بدعوته المباركة سنة(1255هـ/1835م)، فأسّس فيها الزوايا لتعليم القرآن القرآن وتلقّي مبادئ العلوم الدينيّة والعربيّة، وبثّ دعوته الإصلاحيّة فأثمرت ثمارها الطيّبة واستعادت برقة بذلك شيئًا ممّا فقدته بسبب الجهل فظهر فيها العلماء والدعاة والمصلحون، وكان من ثمار هذه الدعوة المباركة العلامة الشيخ أبو القاسم التواتيّ.

---

[1] – هو الطاهر أحمد الزاويّ الباحث اللغويّ المؤرخ الفقيه المفتي قدم عصارة عمره للإسلام واللغة العربيّة والتاريخ أخذ أساتذته بالأزهر منهم محمود خطاب ومحمّد الشريقيّ والدسوقيّ العربيّ وعلي الجهانيّ المصراتيّ وحسن مذكور، شارك في الجهاد ضد الاستعمار الإيطاليّ ت **1403** هـ. يُنظر: ناصر الدين الشريف، الجواهر الإكليليّة، **414**.

[2] – هو المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب وكان ملكاً جليلاً عالي الهمة، محباً لأهل العلم كثير العطاء حمل جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس، رضي الله عنه، وحسم مادة الخلاف في المذاهب، ت **454** هـ بالقيروان. يُنظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، (بدون تاريخ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، **5** /234، 235.

[3] – يُنظر: الطاهر الزاويّ، معجم البلدان الليبيّة، **58**، **59**.

[4] – يُنظر: عبد الله بن محمّد العيّاشيّ، رحلة العيّاشيّ، **1** / **200**.

[5] – هو محمد بن علي بن السنوسيّ، أبو عبد الله، السنوسيّ الخطابيّ الحسنيّ الإدريسيّ: زعيم الطريقة السنوسية الأول، ولد في مستغانم (من أعمال الجزائر) رحل إلى برقة (سنة 1255 هـ) وأقام في الجبل الاخضر فبنى (الزاوية البيضاء) وكثر تلاميذه وانتشرت طريقته، ت**1276** هـ. خير الدين الزركليّ، الأعلام، **6** / **299**.

المطلب الأوّل

ترجمة العلامة الشيخ أبي القاسم التواتيّ

1) اسمه ونسبه :

هو أبو القاسم بن محمّد بن أحمد بن أبي القاسم التواتيّ ثم التمنطيطيّ[(1)] التواتيّ نسبة إلى بلد بصحراء الجزائر[(2)].

2) أسرته :

يرجع تاريخ توطّن عائلة التواتيّ هذه البلاد إلى تاريخ مجيء السيّد محمّد بن عليّ السنوسيّ حيث كان جدّ الشيخ أبي القاسم - وهو أحمد التواتيّ[(3)] - أحد رفاق ابن السنوسيّ الذين قدموا معه إلى برقة، فكان من أعمدة الحركة السنوسيّة، وعلى عاتقه ومن معه من كبار العلماء قام معهد الجغبوب تحت إشراف ابن السنوسيّ، وليس هذا فحسب بل إن ابن السنوسيّ كان كثيرًا ما يُثني عليه خيرًا، وينتدبه ليقوم مقامه في الإشراف على الزوايا ودور العلم ويصفه بأنه:«نصوح أمين، وقد هدى الله به أممًا عديدة»[(4)].

---

(1) - نسبة لمدينة تمنطيط تقع في إقليم توات وهي قاعدتها، فيها العلم والإمارة والولاية والديانة والرياسة، نصبت بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع. يُنظر : محمّد الطيّب بن الحاج عبد الرحيم التمنطيطيّ التواتيّ االقرشيّ، (بدون تاريخ)، مخطوط البسيط في أخبار تمنطيط، **1**/أ.

(2) – يُنظر : أبو القاسم بن محمد التواتيّ الليبيّ، (بدزن تاريخ)، مرجع المشكلات في الاعتقاديّات والعبادات والمعاملات والجنايات على مذهب الإمام مالك ﵁ مكتبة النجاح، طرابلس- ليبيا ، **8**.

(3) –هو أحمد بن أبي القاسم التواتيّ التمنطيطيّ، من العلماء المتبحّرين العلوم وخصوصًا علم الحديث والفقه، أثنى عليه سيدي أحمد الشريف فقال :« العارف بالله الدالّ عليه، المحقّق المدقّق، الصوّام القوّام، الزاهد العالم العامل، الورع الكامل، العبد ذو الفضل المواتي. . .»، وكان الأستاذ الأكبر يخصّه وينتدبه للتفتيش على الزوايا ومراقبة أحوالها. يُنظر : أحمد الشريف السنوسيّ، (بدون تاريخ)، مخطوط الشموس النورانيّة العرفانيّة الإشراقيّة في بيان أعلام الطريقة السنوسيّة الإدريسيّة المحمّديّة، المرصد الأوّل، **52-54**.

1. - محمّد الطيّب الأشهب، (**1956**م)، السنوسيّ الكبير، مطبعة محمّد عاطف، القاهرة، **50**، **58**، **59**.

(4) – محمّد الطيّب الأشهب، السنوسيّ الكبير، **58**.

أما أبوه فهو محمّد بن أحمد التواتيّ صحب السيّد محمّد المهديّ السنوسيّ[1] في رحلته إلى الكفرة[2]، حيث استقرّ بها، ووُلد له بها ابنه الشيخ أبو القاسم التواتيّ[3].

3) ولادته ونشأته :

ولد الشيخ أبو القاسم بواحات الكفرة في الجنوب الليبيّ سنة(1323هـ/1905م)[4]، ونشأ في حجر أبيه في واحات الكفرة نشأة علميّة - فهو من بيت علم، والبيئة التي نشأ بها بيئة علميّة - فحفظ القرآن الذي هو اللبنة الأولى في بناء طالب العلم في الزوايا السنوسيّة آنذاك، ثم شرع في تلقّي العلوم الشرعيّة والعلوم الخادمة لها على والده، فقرأ عليه بعض كتب الفقه والنحو، وذلك تبعًا للبرنامج الذي وضعه ابن السنوسيّ لإعداد العلماء؛ إذ لا يقتصر التعليم على حفظ القرآن فحسب، بل يتعدّى ذلك إلى تعلّم العلوم الضروريّة وأهمّ العلوم العقليّة والنقليّة.

ولعلّ هذا التنوّع في تلقّي العلوم لعب دورًا مهمًا في تكوين الشخصيّة العلميّة للشيخ أبي القاسم التي لم تكن تتّسم بالتقليديّة، وهذا ما يظهر في مؤلّفاته على ما سيأتي، إن شاء الله.

4) جهاده :

التقى الشيخ أبو القاسم القائدَ العامّ لأدوار الجهاد عمر المختار[5] أوّل ما التقاه بجالو[6] كان ذلك سنة (1345هـ/1927م) عندما كان يقيم معسكره في الواحات، وكان الشيخ أبو القاسم آنذاك مقيمًا بها في مدّة مرض والده ثم وفاته يصلّي مع الإخوان السنوسيين في مسجد اللبّة.

---

(1) – هو محمّد المهدي بن محمد بن علي السنوسي ولد في الجبل الأخضر في ليبيا في محل يقال له ماسة، يقع بجانب زاوية البيضاء، خلف أباه في زاوية الجغبوب، وقويت الطريقة السنوسيّة في أيّامه حتى انتشرت زواياها من المغرب الأقصى إلى الهند، ومن الصحراء الكبرى إلى الأستانة، نقل مركز الطريقة من الجغبوب إلى الكفرة. استشهد أثناء مقارعته للاستعمار الفرنسيّ في (قِرو) من بلاد السودان سنة(**1320**هـ/**1902**م). يُنظر : محمّد الطيّب الأشهب، (**1371**هـ-**1952**م)، المهدي السنوسيّ، مطبعة بلينو ساجي، طرابلس-ليبيا، **28**.

- عبد المالك بن عبد القادر بن عليّ، (**1386**-هـ-**1966**م)، الفوائد الجليّة في تاريخ العائلة السنوسيّة، مطبعة دار الجزائر، دمشق، **1/94-96**.

(2) – الكفرة : مجموعة واحات في صحراء ليبيا تقع جنوب مدينة بني غازي. يُنظر : الطاهر الزاويّ، معجم البلدان الليبيّة، **291**، **292**.

(3) - أبو القاسم التواتيّ، مرجع المشكلات، **8**.

(4) - السيّد عليّ نجل الشيخ أبي القاسم التواتيّ.

(5) – شيخ الشهداء أشهر من أن يعرّف به.

(6) –جالو :واحة من واحات برقة، تقع في الجنوب الشرقيّ من أجدابية بنحو **220**كم، وشرقيّ أوجلة **30**كم، وبها نخل كثير، وسكانها المجابرة وهم عرب. يُنظر : الطاهر الزاويّ، معجم البلدان الليبيّة، **86**. .

في يــوم مــن الأيّــام طلــب المختــار مقابلــة أعيــان الإخــوان السنوســيين في جــالو، فذهب الإخوان لمقابلته -وكـان دائمـا مـا يقابـل النـاس بعـد صـلاة العصـر- فـاجتمع بهم وتعـرّف علـيهم فعـرف الشـيخ أبـا القاسـم وأخـبره بمعرفتـه بجـدّه أحمـد التـواتي دفين زاوية الطيلمون[1].

طلــب المختــار مــن الإخــوان السنوســيين أن يقومــوا بحراسـته بحيـث يكـون في كـل نوبة اثنان يقرآن أربعة أحزاب من القرآن ثم يأتي غيرهما إلى أن ينقضي الليل.

ثم طلـب المختـار تعـيين كاتـب لـه فـأجرى اختبـارًا للإخـوان السنوسـيين يكتـب كـل واحـد أمامـه ثم يختـار هـو مـن يستحسـن خطـه فوقـع الاختيـار علـى الشـيخ أبي القاسم فصـار بـذلك كاتبـا للمختـار يكتـب لـه رسـائله إلى الأدوار، ويسـتلم الرسـائل ويعرضها عليـه، واسـتمرّ الشـيخ في هـذه المهمّـة إلى أن غـزا الطليـان أجـدابيا حينـها قـرّر المختـار نقـل المقاومـة إلى الجبـل الأخضـر، وسـرّح مـن كـان معـه مـن جـالو ومنهم الشيخ أبو القاسـم حيـث قـال لـه: والـدتك علـى قيـد الحيـاة؛ اذهـب وجاهـد فيها!، فانتقل الشيخ مع والدته من جالو إلى الكفرة [2].

5) هجرته:

لمّــا بــدأ الغــزو الإيطــاليّ يُحكــم السـيطرة علــى السـواحل الليبيّــة متــوغلا ناحيــة الجنـوب وواحـات الكفـرة خصوصًـا؛ اضـطر الشـيخ أبـو القاسـم إلى الرحيـل عـن أرض الــوطن مهــاجرًا إلى بــلاد تشــاد فيمــا عــرف آنــذاك بــــ(الهجــيج)، وذلــك ســنة (1347هـــ/1929م)، ثم التحـق بالسـودان الشـرقيّ؛ وذلـك لغـرض إكمـال تعليمـه سـنة (1353هـ/1934م).

ويظهر أن هجرتـه إلى بـلاد السـودان كانـت متـأخرة؛ لأنـه قـد سـبقه في ذلـك بعـض العلمــاء كالشــيخ أبي بكــر الغدامســيّ، والشــيخ التــواتي عبــدالجواد، والشــيخ محمّــد طـاهر أبي صـفيطة؛ حيـث قـام الأخـير ببنـاء مسـجد (جـامع الفيـزان) ببلـدة الفاشـر مـن إقلــيم دارفــور بالســودان، بينمــا كــان الأوّلان معنــيين بتــدريس القــرآن وتفســيره حــتى التحـق فيمـا بعـد بالعـالمين المـذكورين الشـيخ أبـو القاسـم التـواتي الـذي صـار إمامـاً للمصلين في المسجد المذكور فور قدومه[3].

---

[1] – الطيلمون: اسم مكان ببرقة، غربيّ سلوق، به زاوية للسنوسيّة، يُنظر: الطاهر الزاويّ، معجم البلدان الليبيّة، **223**. .

[2] – الدكتور محمود حفيد الشيخ أبي القاسم التواتيّ.

[3] - الصحفي المتوكل محمد موسى، الليبيون في دارفور: هجرة منسية «**3**»، موقع واحة جالو.

ويتبيّن من تقديمه أنه كان مبرّزًا في العلوم الشرعيّة، ولذا جاء وصفه في رواية الحاج منصور بن الشيخ أبي صفيطة بأنه: «عالمٌ آخر متخصِّص في تدريس علوم الدين الإسلاميِّ»[1].

ولغرض التزوّد من العلوم انتسب الشيخ أبو القاسم التواتيّ لزاوية الميرغنيّ[2]، وذلك بإشارة من شيخه الملك الراحل السيِّد محمد إدريس بن المهدي السنوسيّ، فدرس فيها الفقه والحديث والنحو والبلاغة على أيدي علماء تخرّجوا بالسودان كما التقى بعلماء شناقطة سيأتي ذكرهم عند الكلام على شيوخه[3].

ثم ارتحل الشيخ إلى بلاد تشاد فأقام ببلدة تُسمّى فايا وذلك سنة (1357هـ/1938م)، فاستقرّ بها حيث عُيّن قاضيًا يفصل بين الناس في خصوماتهم في الدماء والمواريث وغيرها، كما كان يُلقي الدروس لعامّة المسلمين نحو سبعة عشر عامًا تقلّد خلالها منصب الإفتاء إلزامًا؛ لكونه أعلم من بتلك البلاد، كما انتدب من قبل الحكومة الفرنسيّة - المستعمرة في ذلك الوقت لبلاد تشاد - إلى تدريس اللغة العربيّة في مدارسها، والنظر في مهمّات القضاء الشرعيّ؛ فعمل نحو ثمانية أعوام ثم استقال ورجع إلى ليبيا سنة (1376هـ/1957م)، ولكن لم يطل مكثه حتّى رجع بعدها بعام إلى تشاد وتحديدًا إلى بلدة فايا ليكون رجوعه النهائيّ إلى بلده ومسقط رأسه عام (1379هـ/1960م)[4].

6) المناصب التي تقلّدها بعد رجوعه إلى ليبيا:

تقلّد الشيخ عدّة مناصب بعد رجوعه إلى أرض الوطن؛ وذلك إجلالاً لعلمه، وإعلاء لقدره، حيث عُيّن بموجب مرسوم ملكيّ نائبًا لرئيس محكمة الاستئناف الشرعيّة بسبهة[5]، وذلك سنة (1381هـ/1962م)، ثم نُقل الشيخ أبو القاسم إلى الجامعة الإسلاميّة بالبيضاء، وذلك سنة (1384 هـ/1965م)، ثم مديرًا لمعهد

---

(1) - المصدر نفسه.

(2) - نسبة لمحمد عثمان بن محمد أبي بكر بن عبد الله الميرغني المحجوب، الحنفي الحسيني: مفسر، متصوف، وهو أول من اشتهر من الاسرة (الميرغنية) بمصر والسودان، ولد بالطائف (في الحجاز) وتعلم بمكة، وتصوف، وانتقل إلى مصر، ثم قصد السودان، فاستقرّ في (الختامية) جنوبي (كسلا). ت1268 هـ. الزركليّ، الأعلام، 262/6.

(3) - السيّد عليّ نجل الشيخ أبي القاسم.

(4) - أبو القاسم التواتيّ، مرجع المشكلات، 8.

- السيّد عليّ نجل الشيخ أبي القاسم.

(5) –سبهة: مدينة من مدن فزان وهي الآن عاصمة الجنوب الطرابلسيّ. يُنظر: الطاهر الزاويّ، معجم البلدان الليبيّة، 182.

الجغبـــوب[1] الـــدينيّ، ثم مـــديرًا لمعهـــد الكفـــرة الـــدينيّ، إلى أن تقاعـــد ســـنة (1390هـ/1970م)[2].

7) شيوخه :

تتلمذ الشيخ أبـو القاسـم التـواتيّ لشـيوخ عـدة منـهم مـن هـو مـن بلـده، ومنـهم مـن التقـى بـه أثنـاء هجرتـه مـن العلمـاء المتخـرّجين بالسـودان، كمـا التقـى بـبعض العلمـاء الشناقطة، فمن علماء بلده:

- والده محمّد بن أحمد التواتيّ، حيث تلقّى عنه عددًا من كتب الفقه والنحو[3].
- السيد أحمـد بـن محمـد الشـريف بـن محمّـد بـن علـيّ السنوسـيّ، العـالم الفاضـل، وعلــم الجهــاد الغيــور (ت1351هــ/1933)، حيــث أجــاز للشــيخ أبي القاســم التواتيّ[4].
- محمّـد إدريـس بـن المهـدي السنوسـيّ، حيـث صـرّح الشـيخ أبـو القاسـم التـواتيّ بالتتلمذ له[5].

ومن علماء السودان[6]:

- الشريف عبد الرحمن كرّار.
- الإمام عبد الماجد الفلاتيّ.
- الشيخ يوسف الترابيّ.
- الشيخ النجيب البرقاويّ.
- الشيخ داود الواداويّ.

ومن علماء شنقيط[7] الذين تلقّى عنهم:

- الشيخ أحمد زيدان بن المصطفى الجكنيّ الشنقيطيّ[8].

---

(1)- الجغبوب : واحة صغيرة تقع إلى الجنوب من مدينة طبرق، وتقع على دود سيوة الغربيّة وتحيط بها صحراء قاحلة قاتلة من الشمال والغرب والجنوب. يُنظر : الطاهر الزاويّ، معجم البلدان الليبيّة، **103**.

(2) - السيّد عليّ نجل الشيخ أبي القاسم.

(3) - أبو القاسم التواتيّ، مرجع المشكلات، **8**.

(4) - محمّد آل رشيد، بعض الرواة عن الإمام أحمد الشريف السنوسي، منتديات روض الرياحين.

(5) - أبو القاسم التواتيّ، مرجع المشكلات، **8**.

(6) – المصدر نفسه.

(7) – شنقيط : في الأصل تُطلق على مدينة من مدن آدرار واقعة فوق جبل في جهة غرب الصحر اء الكبرى، ثم سُمّي به القطر كلّه، ويحدّ هذا القطر شمالاً الساقية الحمراء، وجنوبًا بلاد السنغال، وشرقًا قاع ابن هَيْب، وغربًا ولات النعم، ومعنى كلمة شنقيط : عيون الخيل، وتكتب بالقاف والجيم. يُنظر : أحمد بن الأمين الشنقيطيّ، (**1339**هـ)، الوسيط في أدباء بلاد شنقيط، مكتبة الخانجيّ ، **410**.

(8) - أبو القاسم التواتيّ، مرجع المشكلات، **8**.

ويبدو أن الشيخ أبا القاسم قد تأثر كثيرًا بمشايخه الشناقطة؛ ولذا قال عندما ذكرهم إنه «تلقّى عنهم الفقه أصلاً، وفرعًا، وقاعدةً»[1].

8) تلاميذه :

حريّ بمن كانت هذه سيرته في طلب العلم أن يعرفه الطلاب في مشارق الأرض ومغربها، ويسارعوا إلى الأخذ عنه، والتتلمذ له، والنهل من علمه، وهذا ما يظهر من رحلة علم من أعلام بلاد شنقيط قاصدًا ليبيا للأخذ عن الشيخ أبي القاسم التواتيّ.

والعَلَم المذكور هو **القاضي التقيّ بن محمّد عبد الله الشنقيطيّ، (ت1432 هـ/2011م)**، صاحب شرح صحيح مسلم المُسمّى (إتحاف المسلم بصحيح مسلم)، حيث جاء في ترجمته أنه رحل إلى عدة بلدان منها: ليبيا، والتقى فيها بالشيخ أبي القاسم التواتي رحمه الله، وأعجب به، واستجازه فأجازه برواية الكتب الستة والموطأ ومسند أحمد، وما تضمنه المنهل الرويّ لابن السنوسي بروايته (أي: التواتي) عن محمد إدريس المهدي السنوسيّ عن أحمد الريفي عن محمد بن علي السنوسي، وكان ذلك في رحاب الجامعة الإسلاميّة بالبيضاء لإحدى عشرة خلت من شهر رمضان سنة تسعين وثلاث مئة وألف،(1389هـ/1969م)[2].

كما تتلمذ للشيخ أبي القاسم **الشيخ المسند أحمد مالك بن محمّد العربيّ بن أحمد بن محمد الشريف بن محمّد بن عليّ السنوسيّ**، حيث سمع عليه نصف المجلد الأول من فتح الباري وأجازه[3].

9) وفاته :

وبعد هذه الحياة الحافلة بالاجتهاد، والزاخرة بالعطاء العلميّ أسلم الشيخ أبو القاسم روحه إلى بارئها وذلك يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر السادس لسنة إحدى وثمانين وتسع مئة وألف، (1339هـ/1981م) رحمه الله تعالى رحمة واسعة[4].

---

(1) - المصدر نفسه.

(2) - أبو محمّد بن عبد الفتاح ، ترجمة محدث شنقيط ومسندها، ملتقى أهل الحديث.

- سيّد أبو الحسن، تعزية في علامة المسلمين الشيخ التقيّ رحمه الله، ملتقى أهل الحديث.

(3) - عصام بن الحاج محمّد، ترجمة العلامة المسند الكبير مالك السنوسيّ المدنيّ، ملتقى أهل الحديث.

(4) - السيّد عليّ نجل الشيخ أبي القاسم.

المطلب الثاني

مؤلّفات العلامة الشيخ أبي القاسم التواتيّ

لقد أثرى الشيخ أبو القاسم التواتيّ المكتبة المالكيّة بمؤلّفات قيّمة كانت نتاجًا لسنوات قضاها في طلب العلم والتلقّي عن العلماء في مختلف العلوم، وقد لاقت مؤلّفات الشيخ أبي القاسم التواتيّ القبول والاستحسان لدى العلماء وطلاب العلم، وذلك لما لها من أهميّة في بابها، وسأذكرها هنا مرتبة حسب أولّيّتها:

1. **(مرجع المشكلات في الاعتقادات والعبادات والمعاملات والجنايات على مذهب الإمام مالك ﵁)**[1].

هذا الكتاب عبارة عن شرح لنظم العلامة الشيخ محمّد العاقب بن سيدي عبد الله بن مايابي الجكنيّ الشنقيطيّ[2] لنوازل العلامة الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلويّ الشنقيطيّ[3].

ويذكر الشيخ أبو القاسم التواتيّ أن سبب تسمية الكتاب بهذه الاسم هو أن المفتي قد تعرض له «مشكلات لو جرَّد باعه بالكشف عنها في الفروع كما ينبغي لا يهتدي إليها إلا بعد مشقّة كبيرة، أو لا يهتدي إليها إلا رجع إذا للأصول والقواعد»[4]، وقد رأى الشيخ أبو القاسم التواتيّ الهمم تقاصرت عن دراسة الأصول والقواعد التي هي عدة المفتي فيما يعرض له من مشكلات ونوازل، ومن

---

(1) - الكتاب مطبوع ومتداول، وقد ذكره الدكتور محمّد العلميّ في موسوعته المسمّاة (الدليل التاريخيّ لمؤلّفات المذهب المالكيّ)، **344**. إلا أن الدكتور محمّد العلميّ قد وهم فصنفه على أنه نظم لنوازل العلامة الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلويّ، والصواب أن النظم للعلامة الشيخ محمدّ العاقب مايابي لنوازل العلويّ، والتواتيّ شارح لهذا النظم، فقد جاء في افتتاح النظم:

يقول مضطرّا لعون المالك	محمّد خادم فقه مالك
من ينتمي للعنصر المايابي	طوبى له وأحسن المآب

(2) – هو الشيخ محمّد العاقب بن سيدي عبد الله بن أحمد الملقّب مايابي الجكنيّ الشنقيطيّ، كان يُسمّى حريريّ زمانه، جمع بين المنقول والمعقول، ت**1327** هـ. محمّدالأمين بن محمّد بيب(**1423**هـ- **2002**م)، مقدمة تحقيق فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم ، **40 - 46**.

(3) – هو الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام محنض أحمد العلويّ الشنقيطيّ، علامة نحرير، طار ذكره وانتشر، ولم يعاصره مثله علمًا وفهمًا، مكث أربعين سنة يطلب العلم ولم يشبع منه، أخذ عن البنّانيّ صاحب الحاشية على شرح عبد الباقي الزرقانيّ، كما أخذ البنّانيّ عنه، والمختار بن بونه الجكنيّ، وغيرهم، له (مراقي السعود) منظومة في الأصول، وشرحها (نشر البنود)، و(طلعة الأنوار) منظومة في مصطلح الحديث، وشرحها(هدي الأبرار) وغيرها، ت**1233** هـ. يُنظر: أحمد بن الأمين الشنقيطيّ، الوسيط في أدباء بلاد شنقيط، **38 - 40**.

(4) - أبو القاسم التواتيّ، مرجع المشكلات، **3**.

كانت هذه حاله وجب عليه أن يُسند قوله لتأليف معتمد من الكتب المشهورة لتكون مرجعًا لفتواه، فأراد الشيخ أن يختصر الطريق، فأسند مادة كتابه لنيف وأربعين مصنفًا؛ ليكون كتابه **مرجعًا للمشكلات** يجد الباحث فيه ضالته إما نصًا أو ما يدلّ عليها من قاعدة أو أصل، لا سيّما وقد ألفه الشيخ خلال بقائه في تشاد أثناء توليه منصب الإفتاء وحلّ المشاكل بين الناس هناك.

ولقد اعتنى الشيخ أبو القاسم التواتيّ بهذه النوازل أيّما عناية، فصحبها تسع عشرة سنة يضمّ النظائر إلى نظائرها حتى تأصّلت كثير من مسائلها، كما حاول فيها التقريب بين الأحكام الشرعيّة والقوانين المدنيّة المعمول بها في المحاكم؛ حيث أصّل فيه العقوبات الماليّة، فذكرها مستوفية شروطها، مسندة إلى أفعال النبيّ ﷺ والصحابة والتابعين ﷺ[1]

أما عن **منهجه** في الكتاب فإنه يقوم على ذكر المسألة وتقريرها، ثم كشف معانيها اللغويّة، ثم إعراب ما تحتاجه دون إطالة، ثم يذكر ما يناسبها في الحكم من المسائل من الكتب، فإن لم يجد لها في الكتب ذكرًا اعتمد على ما استفاده من مشايخه، وإلا اجتهد بما يفتح الله تعالى به عليه.[2]

ومثال ذلك قوله - عند قول الناظم:

وَلَبَنُ الْحَمِيرِ لِلدَّوَاءِ أَجَازَهُ الإِمَامُ ذُو اللِّوَاءِ
وَمِثْلُهُ فِي لَبَنِ الْخُيُولِ مَعَ الْبِغَالِ، قَالَهُ الْجَزُولِي

قوله:« لبن مبتدأ، وجملة أجازه خبر، والإمام المراد به مالك، واللواء الراية، أي صاحب الراية في العلم؛ للحديث الصحيح: (يوشك أن تُضرب أكباد الإبل في طلب العلم ولا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة)، فأكثر العلماء على أن المراد بعالم المدينة الإمام مالك ﷺ»[3]، هذا فيما يتعلّق ببحث المفردات اللغويّة والنحويّة، ثم بعد ذلك يشرع في بحث المسألة الفقهيّة فيقول:«يعني أن شرب لبن الحمير للدواء أجازه الإمام مالك، ومثل تجويز مالك لبن الحمير جوّز الجزوليّ لبن الخيول والبغال للعلة المذكورة، وانظر كيف جعل للبغال لبنا مع عدم حملها ولعله كان في الزمن الأول كما ذكر "عب"[4] في شرحه على (العزّيّة) بقوله: (في ذكر

---

[1] – المصدر نفسه، **4**، **11**.

[2] – المصدر نفسه، **22**.

[3] – أبو القاسم التواتيّ، مرجع المشكلات، **22**.

[4] - يرمز به للشيخ عبد الباقي الزرقانيّ. يُنظر : أبو القاسم التواتيّ، مرجع المشكلات، **12**.

البغال تسامح؛ إذ لا لبن لها؛ لأنها لا تلد، ويقال إنها كانت تلد، فلما حمل عليها نمرود الحطب لحرق إبراهيمﷺ قطع نسلها من ذلك اليوم)»[1]، ثم يذكر بعد ذلك ما يُمكن تفريعه على المسألة «ابن فرحون: لبن الخيل إذا كان قارصا قد يغطي على العقل، فإن شرب لذلك حرام وإن شرب لغير ذلك بقي على حكم الإباحة المراد منه. بتصرف»[2].

ومن أمثلة الفروع التي أسندها الشيخ إلى القواعد الأصوليّة مسألة قصر الصلاة للمسافر في غير مشقّة؛ كالسفر في الطائرة مثلا، وذلك عند قول الناظم:

وَلاَ يُبِيحُ نَظَرَ الْمَحْظُورِ   عَدَمُ شَهْوَةٍ لِذَا الْمَنْظُورِ

قال:«يعني أنه لا يبيح هدمُ الشهوة النظرَ إلى المحرّم كالخصيّ والشيخ الفاني، لا نقول إنه يجوز لهما النظر لأطراف الأجنبيّة لعدم شهوتهما؛ لأن المعلل بالمظان لا يختلف، كمشقّة السفر؛ قد يُسافر الإنسان في طائرة أو باخرة لا تعب ولا نصب ومع ذلك يقصر الصلاة للقاعدة»[3].

ولكون الشيخ أبي القاسم التواتيّ ألف الكتاب أثناء بقائه في تشاد؛ فإنه تعرّض في بعض المسائل للحديث عن بعض الأعراف الخاصة بذلك القطر، فمن ذلك ما جاء في مسألة تغريم المحاربين والسراق والغاصبين، قال:«وممّا يُلحق بالغصّاب والسراق ما يقع كثيرًا الآن في بادية السودان من أنه متى ما وجد أحدهم ضالة الإبل أخذها بنيّة التملّك، إما أن يجلبها لبدة بعيدة ويبيعها فيها أو يودعها في محلّ تقلّ فيه المارّة...»[4] إلى آخر ما ذكره من الأمور التي كانت تحصل في تلك البلاد، وقد أفتى الشيخ في هؤلاء بأنهم سرّاق وغاصبون حيث قال:«فهؤلاء يجب على كلّ من بسط الله يده على الأرض أن يُنكلّهم بأنواع التعزيرات، وأن يُغرمهم ما أخذوا وما استغلّوا وما عطلوا حتى يرتدعوا عن هذا العمل الفظيع، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[5].

وقد فرغ الشيخ من تأليف الكتاب سنة (1376 هـ/1956م)، طبع الكتاب في حياة المؤلّف عدة طبعات، كانت الأولى على نفقة السيّد عبدالله عابد السنوسيّ بمطابعه سنة (1382 هـ/ 1962م)، وقد نفِدت هذه الطبعة مع ما فيها من التحريف المطبعيّ والسقط لبعض أبيات المتن كتلك الساقطة من باب الشرط في

---

(1) – المصدر نفسه، **22**.

(2) - المصدر نفسه، **22**.

(3) - المصدر نفسه، **32**.

(4) - أبو القاسم التواتيّ، مرجع المشكلات، **101**.

(5) - المصدر نفسه، **101**.

النكاح، فأعاد الشيخ تصحيح الكتاب وتنقيحه، وضبط المتن بالشكل، كما زيدت مسائله إيضاحًا بعبارة أسهل، وأعادت طباعته مكتبة النجاح بطرابلس الغرب سنة (1387هـ/1967م).

2. (رفع الالتباس في وجوب الصوم والفطر برؤية قطر دون آخر على جميع الناس).

هذا الكتاب من الكتب التي صنفها الشيخ أثناء إقامته بتشاد، وهي رسالة صغيرة، موضوعها مسائل متعلّقة بأحكام الصوم والفطر، وقد بناها الشيخ على خمسة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

الفصل الأوّل: في وجوب اتّباع الكتاب والسنة وترك ما خالفهما.

الفصل الثاني: في أنه لا مذهب لأحد من المشايخ والآباء إلا ما وافق الكتاب والسنة.

الفصل الثالث: في أن رؤية قطر من أقطار المسلمين تُعمّم الصوم والإفطار لجميع الأقطار.

الفصل الرابع: في وجوب الصوم والإفطار بنقل المسمّعات المحدثات.

الفصل الخامس: في ذمّ الافتراق في الدين.

الخاتمة: في التقوى والنهي عن الخوض فيما لا علم للإنسان به[1].

أراد الشيخ بهذه الرسالة جمع كلمة المسلمين بتوحيد الصوم والفطر في البلاد التي تشترك في جزء من الليل أو النهار ولو كان هذا الجزء يسيراً[2].

كما تطرّق الشيخ في أحد فصول رسالته إلى نازلة كانت مستجَدة في ذلك الوقت، ألا وهي حكم وجوب الصوم بالخبر الوارد عبر الآلات المستحدثة كـ(المذياع، والهاتف)، حيث وُجد من الناس من تشدد وقال:«إنه خبر غير عدل، وخبر آحاد، وقالوا إنه علامة ضعيفة لا تفيد القطع، إلى غير ذلك من الأقوال التي أدخلت الشك على العوام، وكدرت عليهم صومهم وفطرهم»[3].

---

(1) - أبو القاسم التواتيّ، (1392 هـ- 1972)، رفع الالتباس في وجوب الصوم والفطر برؤية قطر دون آخر على جميع الناس، مطبعة بنغازي الأهليّة ، 6.

(2) - المصدرنفسه، 16.

(3) - المصدر نفسه، 17.

وقد ردّ الشيخ على هذه الشبه بأسلوب علميّ مستند إلى الأدلّة الشرعيّة والعقليّة والقواعد الفقهيّة؛ ملتمسًا في ذلك مقاصد الشريعة في جمع الكلمة وعدم الافتراق في الدين[1].

انتهى الشيخ من تسويد الكتاب سنة (1380هـ/1963م)[2]، وطبع بمطبعة بنغازي الأهليّة سنة (1392هـ/1972م).

3. (الإسعاف بالطلب في اختصار شرح المنهج المنتخب)[3].

يُعدّ هذا الكتاب من أشهر كتب الشيخ أبي القاسم التواتيّ؛ لأهميّته في بابه، وهو علم القواعد، ولكونه ظهر وانتشر قبل ظهور أصله، فقد قال الشيخ أبو القاسم التواتيّ في مقدمة الكتاب:«أخذت أبحث عن شرح أستعين به على واجب الإحياء فلم أظفر؛ حيث لم يُطبع له شرح فيما أعلم»[4]، فكان لاختصار الشيخ الفضل في ظهور الكتاب وتداوله بين طلاب العلم؛ لأن الحاجة إلى هذا الشرح كانت ماسّة، قال في مقدمته:«قد سألني جماعة من أهل اليقين أن أضع لهم شرحًا على نظم الإمام الزقاق المسمّى(المنهج المنتخب في قواعد المذهب) أي مذهب الإمام مالك ﷺ يحل ألفاظه ويذلل صعابه، وذلك لما سبق أن وعدت به في ترجمة كتابي(مرجع المشكلات)، فبقيت متردداً حتى جاءتني تأكيدات كثيرة من أقطار بعيدة تناشدني الإسراع بالعمل، وترك التواني والكسل»[5].

والكتاب هو عبارة عن اختصار لشرح العلامة الشيخ أحمد بن عليّ المعروف بالمنجور الفاسيّ[6] على منظومة (المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب) للعلامة الشيخ عليّ بن قاسم التجيبيّ الشهير بالزقّاق[7].

وقد أهدى الشيخ أبو القاسم التواتيّ هذا الكتاب إلى جامعة السيّد محمّد بن عليّ السنوسيّ؛ إحياء لهذا العلم[8].

وكان الفراغ من تأليفه سنة 1394 هـ،(1973)[9].

---

(1) - المصدر نفسه، **16 - 18**.

(2) - المصدر نفسه، **21**.

(3) - الكتاب مطبوع ومتداول، وقد ذكره الدكتور محمّد العلميّ في موسوعته (الدليل التاريخيّ لمؤلّفات المذهب المالكيّ)، **253**.

(4) - أبو القاسم التواتيّ، (**1997**م)، الإسعاف بالطلب في اختصار شرح المنهج المنتخب، باعتناء: د. حمزة أبو فارس، و د. عبد المطلب قنباشة، دار الحكمة، طرابلس- ليبيا، **12**.

(5) - المصدر نفسه.

(6) - لإتمام ترجمته يُنظر: أحمد بابا التنبكتيّ، نيل الابتهاج بتطريز الابتهاج، **143**.

(7) - المصدر نفسه، **343**.

(8) –يُنظر: أبو القاسم التواتيّ، مرجع المشكلات، **9**.

(9) – يُنظر: أبو القاسم التواتيّ، الإسعاف بالطلب، **282**.

طُبـع الكتـاب طبعـتين، كانـت الأولى في حيـاة الشـيخ سـنة 1395 هــ، الموافـق 1975م بمطبعـة بنغـازي الأهليـة، والثانيـة عـن دار الحكمـة بطـرابلس الغـرب باعتنـاء كل من: د. حمزة أبو فارس، و د. عبد المطلب قنباشة.

4. **(تنبيه الأولاد فيما كان عليه السلف الصالح والأجداد)**[1].

ويظهـر مـن العنـوان أن موضـوع الكتـاب هـو التربيـة والآداب والحـث علـى سـلوك نهج الصالحين مـن سـلف الأمـة مـن الصـحابة والتـابعين؛ إلا أنـني لم يتسـن لي الوقـوف على هذا الكتاب مطبوعًا ولا مخطوطًا.

5. **(تلخيص شرح التكميل لميّارة الفاسيّ)**.

وعد الشـيخ في آخـر كتـاب (الإسـعاف بالطلـب)[2] بأنـه سـيقدم هـذا الكتـاب للطبـع ولكن المنيّة اخترمته قبل الوفاء بوعده، ولا يزال الكتاب مخطوطًا إلى الآن.

وكتـاب ميّـارة هـذا اسمـه (بسـتان الفكـر)، جعلـه ذيـلاً وتكملـة للمنـهج المنتخـب حيث قال في مقدمته:

سَمَّيْتُهُ بُسْتَانَ فِكْرِ الْمُهَجِ ذَيْلاً وَتَكْمِيلاً لِذَاكَ الْمَنْهَجِ[3]

---

[1] - أبو القاسم التواتيّ، مرجع المشكلات، **9**.

[2] - **282**.

[3] - المصدر نفسه، ترجمة المؤلف.

خاتمة

لقد ساهم القطر الليبيّ مساهمة واسعة في تشييد أركان الفقه المالكيّ في الشمال الإفريقيّ والمغرب الإسلاميّ؛ إذ يشرُف بأن يكون دخول الموطأ إلى هذه المنطقة على يد أحد أبنائه، وهو علي بن زياد الطرابلسيّ.

إن الشيخ أبا القاسم التواتيّ أحدُ السائرين على نهج سابقيه من علماء ليبيا الذين خدموا العلم الشرعيّ، وأثرَوُا المكتبة المالكيّة بمؤلفات قيّمة تدلّ على طول باعه وسَعة اطلاعه.

ترك الشيخ تراثًا فقهيّا مهمّا في مجالي القواعد الفقهيّة والإفتاء، وهما علمان لا يتأتيان إلا لمن مارس الفقه وتضلع من علوم الآلة.

لم يجمد الشيخ على نصوص العلماء السابقين وفتواهم بل أضاف إليها اجتهاداته في النوازل التي عالجها بنفسه.

لم يُغفل الشيخ في مؤلّفاته موضوع التزكية والأخلاق؛ إذ لا خير في العلم دون تزكية وأخلاق.

ختامًا، يوصي الباحث بالاعتناء بتراث علماء ليبيا وتحقيق مخطوطاته، ومؤلفات الشيخ أبي القاسم خصوصًا؛ لأنها لم تنل حقها من الخدمة، فالمطبوع منها طُبع دون تحقيق، ونسخه نفدت منذ سنين، كما أن للشيخ مخطوطاتٍ تحتاج إلى همة طلاب العلم وخدام العلم الشريف.

قائمة المصادر والمراجع

1. أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ بن فرحون المالكيّ، (بدون تاريخ)، الديباج المُذْهب في معرفة أعيان علماء المَذْهب، تح: محمّد الأحمديّ أبو النور، دار التراث، القاهرة .
2. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، (بدون تاريخ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
3. أبو القاسم التواتيّ، (1392 هـ- 1972)رفع الالتباس في وجوب الصوم والفطر برؤية قطر دون آخر على جميع الناس، مطبعة بنغازي الأهليّة.
4. أبو القاسم التواتيّ، (1997م)، الإسعاف بالطلب في اختصار شرح المنهج المنتخب، باعتناء: د. حمزة أبو فارس، و د. عبد المطلب قنباشة، دار الحكمة، طرابلس- ليبيا.
5. أبو القاسم بن محمد التواتيّ الليبيّ، (بدون تاريخ)،مرجع المشكلات في الاعتقاديّات والعبادات والمعاملات والجنايات على مذهب الإمام مالك ﷺ مكتبة النجاح-،طرابلس- ليبيا.
6. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوْره الترمذيّ، (بدون تاريخ)، الجامع الصحيح (سنن الترمذيّ)- تح :أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي–بيروت.
7. أبو محمّد بن عبد الفتاح، ترجمة محدث شنقيط ومسندها، ملتقى أهل الحديث.
8. أحمد الشريف السنوسيّ، (بدون تاريخ)، مخطوط الشموس النورانيّة العرفانيّة الإشراقيّة في بيان أعلام الطريقة السنوسيّة الإدريسيّة المحمّديّة.
9. أحمد بابا التنبكتيّ، (1989م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كليّة الدعوة الإسلامية، طرابلس – ليبيا.
10. أحمد بن الأمين الشنقيطيّ، (1339هـ)، الوسيط في أدباء بلاد شنقيط، مكتبة الخانجيّ.
11. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركليّ الدمشقيّ، (2002م)، الأعلام، دار العلم للملايين.
12. سيّد أبو الحسن، تعزية في علامة المسلمين الشيخ التقيّ رحمه الله، ملتقى أهل الحديث.
13. شهادات استقاها الباحث من السادة أبناء الشيخ أبي القاسم وأحفاده.
14. الصحفي المتوكل محمد موسى، الليبيون في دارفور: هجرة منسية «3»، موقع واحة جالو.
15. الطاهر أحمد الزاويّ، (1388هـ- 1968م)، معجم البلدان الليبيّة، مكتبة النور، طرابلس- ليبيا.
16. الطاهر أحمد الزاويّ، (2004م)، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلاميّ.
17. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرميّ، (1984م)، تاريخ ابن خلدون، دار القلم، بيروت.
18. عبد المالك بن عبد القادر بن عليّ، (1386-هـ-1966م)، الفوائد الجليّة في تاريخ العائلة السنوسيّة، مطبعة دار الجزائر، دمشق.

19.عصام بن الحاج محمّد، ترجمة العلامة المسند الكبير مالك السنوسيّ المدنيّ، ملتقى أهل الحديث.
20.عياض بن موسى اليحصبيّ، (1403هـ - 1983م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: محمّد بن تاويت الطنجيّ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة للمملكة المغربيّة.
21.فاتح محمّد زقلام، (2009م)، الأصول التي اشتهر انفراد إمام دار الهجرة بها، دار الفسيفساء، طرابلس.
22.محمّد آل رشيد، بعض الرواة عن الإمام أحمد الشريف السنوسي، منتديات روض الرياحين.
23.محمّد الطيّب الأشهب، (1371هـ-1952م)، المهدي السنوسيّ، مطبعة بلينو ساجي، طرابلس-ليبيا.
24.محمّد الطيّب الأشهب،(1956م)، السنوسيّ الكبير، مطبعة محمّد عاطف، القاهرة.
25.محمّد الطيّب القادريّ، (1379هـ- 1977م)، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمّد حجيّ وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة، الرباط.
26.محمّد الطيّب بن الحاج عبد الرحيم التمنطيطيّ التواتيّ االقرشيّ، (بدون تاريخ)، مخطوط البسيط في أخبار تمنطيط.
27.محمّد العلميّ، (1433هـ- 2012م)، الدليل التاريخيّ لمؤلّفات المذهب المالكيّ، الرابطة المحمّديّة للعلماء،المملكة المغربيّة.
28.محمّد بن الهادي أبو الأجفان، (بدون تاريخ)، المدرسة المالكية بإفريقية في عهد سيادة القيروان، ورقة بحثيّة.
29.محمّد بن عبد السلام العيّاشيّ، (2006م)، الرحلة العيّاشيّة، تح: سعيد الفاضليّ وسليمان القرشيّ، دار السويديّ، الإمارات العربيّة المتّحدة.
30.محمّدالأمين بن محمّد بيب، (1423هـ- 2002م)، مقدمة تحقيق فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم.
31.ناصر الدين محمّد الشريف، (1420هـ- 1999م)، الجواهر الإكليليّة في أعيان علماء ليبيا من المالكيّة، دار البيارق.
32.يوسف بن الزكيّ عبدالرحمن أبو الحجّاج المزيّ، (1400هـ - 1980م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشّار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.

فهرس المحتويات